

العمل مع الأطفال قبل سن الدراسة

مجموعة أدوات إلكترونية تتعلق بمرحلة الطفولة المبكرة

العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة



فرانسيكا بالارين



50°
Terre des hommes Italia



بدعم من



المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية (ECHO)
منظمة أرض الإنسان - إيطاليا (Terre des hommes Italia (TDH-IT))

- Terre des hommes Italia (TDH الإنسان-إيطاليا)

IT هي منظمة دولية غير حكومية تعمل في اثنين وعشرين بلداً منخفض الدخل في مجال الدفاع عن حقوق الأطفال، بصرف النظر عن أية اعتبارات سياسية أو عرقية أو دينية.



تعمل المنظمة في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ٢٠٠٠، حيث تنفذ برامج تهدف إلى الاستجابة لعدد من الاحتياجات الأساسية للأطفال والفئات المعوزة في المجتمع الفلسطيني، وتقوم في الوقت ذاته بتعزيز الحقوق الأساسية للأطفال والمعوزين كما تنص عليها المواثيق الدولية؛ وهي أساساً الحق في الصحة والتعليم والتعبير، وكذلك الحق في التطور النفسي والاجتماعي المتوازن. ومن شأن إحقاق هذه الحقوق أن يؤدي إلى تمكين الأطفال والمعوزين من أن يصبحوا مواطنين فاعلين في مجتمعاتهم. وتنفذ المنظمة هذه الاستراتيجية في إطار الشراكة مع منظمات فلسطينية غير حكومية، مساهمة في بناء قدرات هذه المنظمات وفي تطويرها المؤسسي عبر تزويدها بالقدرة التقنية والمالية.

وتعمل المنظمة في قطاع غزة منذ عام ٢٠٠٨، حيث نفذت في إطار شراكة مع جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية العديد من المشاريع في المحافظة الشمالية، مركزة على الوقاية والعلاج من سوء التغذية ومرض فقر الدم الناجم عن نقص الحديد. كما نفذت المنظمة أيضاً منذ أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠٩، بالشراكة مع الإغاثة الطبية الفلسطينية وبتمويل من المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية (ECHO)، مشروعين في مجال المساعدة النفسية - الاجتماعية في محافظتي قطاع غزة الجنوبيتين (خان يونس ورفح)، حيث يلعب عنصر التغذية دوراً هاماً، وإن يكن مساعداً، في دعم رفاه الأطفال. وتلتزم المنهجية التي اعتمدها المنظمة خلال المرحلتين الأولى والثانية من العمل، وهي "الدعم التغذوي والنفسي-الاجتماعي للأطفال وأشقائهم في مرحلة ما قبل سن الدراسة في قطاع غزة"، بنظم الدعم المتكامل ومتعدد الطبقات التي تنص عليها توجيهات اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات المعنية بالصحة العقلية والمساعدة النفسية والاجتماعية في حالات الطوارئ، وذلك بإعطاء دور بارز وأهمية للقائمين على رعاية الأطفال في التعامل مع سلوكيات الأطفال الصعبة واحتياجاتهم الخاصة.

"جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية" مؤسسة صحية مجتمعية فلسطينية مستقلة تأسست عام ١٩٧٩ من نواة صغيرة من المتطوعين الصحيين الساعين لتلبية الاحتياجات الصحية المتفاقمة في المناطق المحرومة، وتطورت إلى أن أصبحت مؤسسة أهلية صحية مستقلة رائدة في فلسطين ولها فروع في كافة محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة تتبنى مبادئ الرعاية الصحية الأولية وتعتمد في عملها على مشاركة المجتمع وتعمل على بناء نماذج صحية تنموية متميزة ورائدة ملائمة لواقعنا المحلي، وترتكز في عملها على خدمة الفئات السكانية المحرومة، وتهدف إلى تكوين الأراضية الصلبة لرعاية صحية عالية الجودة تتجاوب مع احتياجات السكان، وتوفير خدمات الصحة الأولية للفئات الأكثر احتياجاً، والجمع بين الخدمات الوقائية والعلاجية بهدف رفع المستوى الصحي في المجتمع الفلسطيني.



وتعمل "جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية" من خلال مراكز الصحة المجتمعية الثابتة والعيادات المتنقلة الموزعة في مختلف أنحاء البلاد على تنفيذ برامج شمولية في الرعاية الصحية الأولية، وتركز خدماتها الصحية العالية الجودة على احتياجات الأفراد الأكثر انكشافاً في المجتمع الفلسطيني: النساء والأطفال والفقراء في القرى والمخيمات والمراكز الحضرية المحرومة.

وتسعى "جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية" إلى التأثير الإيجابي على السياسات الصحية الوطنية وتهدف إلى تحسين السلامة البدنية والنفسية والاجتماعية العامة لكل الفلسطينيين بصرف النظر عن الخصائص العرقية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو الجنس.

وتعمل "جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية" على المساهمة في بناء مجتمع مدني فلسطيني قادر على الحياة وعلى المساهمة في تحقيق هدفنا الوطني بناءً على أسس العدالة الاجتماعية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ومجتمع يخلو من التمييز والانتهاكات بأي شكل كانت. وتعمل الإغاثة الطبية على تحقيق الرفاه البدني والنفسي والاجتماعي للفلسطينيين.

وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية شريك لمنظمة أرض الإنسان-إيطاليا (TDH - IT) منذ عام ٢٠٠٨.

عملت فرانشيسكا بالارين كمستشارة في مجال المساعدة النفسية-الاجتماعية لتطور الطفولة المبكرة لدى منظمة أرض الإنسان-إيطاليا (TDH - IT) منذ عام ٢٠٠٩. ولديها خبرة واسعة في تطوير وإدارة ورصد مشاريع وبرامج المساعدات الإنسانية التي تركز على حماية وتعليم الأطفال. وقد عملت في السنوات الثلاث عشرة الماضية في حالات طوارئ وبيئات ما بعد نزاعات في بلدان عدة، من بينها أفغانستان والأردن والعراق والأراضي المحتلة في فلسطين وباكستان وسوريا والسودان. وتحمل بالارين درجة الماجستير في علم النفس مع التركيز على علم النفس العيادي، كما أنها مدربة مؤهلة معتمدة من الشبكة المشتركة لوكالات التعليم في حالات الطوارئ.

■ (الترجمة من اللغة الإنجليزية للغة العربية: فلورا هندي , بدعم من ربما الحاج عبد)

EUROPEAN COMMISSION



Humanitarian Aid and Civil Protection

إخلاء مسؤولية
" أعدت هذه الوثيقة بمساعدة مالية من إدارة المساعدات الإنسانية والحماية المدنية في المفوضية الأوروبية. ولا ينبغي للآراء التي أعرب عنها هنا أن تؤخذ، بأي شكل من الأشكال، على أنها تعكس الرأي الرسمي للمفوضية الأوروبية"
؟

جدول المحتويات

تصدير
شكر وتقدير
مقدمة

العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة

١. مقدمة
٢. العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة: الإطار المرجعي
 - ١.٢ نهج تطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة
 - ٢.٢ المفاهيم الأساسية في العمل مع مرحلة الطفولة المبكرة
 - ١.٢.٢ مجالات التطور
 - ٢.٢.٢ معالم التطور ومفاهيم أساسية أخرى تتعلق بالتطور
 - ٣.٢.٢ مبادئ شاملة للعمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة
٣. خبرة العمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة في قطاع غزة (الأراضي المحتلة في فلسطين)
٤. مراجع أساسية لمرحلة الطفولة المبكرة.

تصدير

هناك في العالم اليوم ١.٨٥ مليار طفل دون سن الخامسة عشرة. ويحيا عشرات الملايين منهم وينمون في بيئات تعاني الفقر والحرب والعنف والأزمات التي طال أمدها. وتعمل منظمة أرض الإنسان-إيطاليا، التي تأسست عام ١٩٩٤، في ٢٢ بلداً، لتساعد وتحمي ١٠٠,٠٠٠ طفل من بين الفئات الأكثر حرماناً. وقد قدمت جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية منذ عام ١٩٧٩ خدمات طبية للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع التركيز بشكل خاص على صحة الأطفال.

وعلى الرغم من أن البرامج الإنسانية تكون موجهة عادة إلى جميع الأطفال بالتساوي، إلا أن التجربة تدل على أن تقديم الرعاية للأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة أكثر صعوبة. فهم في عمر أكبر من عمر الأطفال الذين توفر لهم الرعاية من خلال برامج رعاية الأمومة والطفولة وفي عمر أصغر من عمر الأطفال الذين يمكن أن يحصلوا على الرعاية من خلال المدراس التي يلتحقون بها، وهكذا نادراً ما يتم توجيه رعاية للأطفال في الفئة العمرية ٣-٥ سنوات تحديداً.

وتقدم تجربة منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في غزة فرصة استثنائية للعمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة في إطار نهج تطور الطفولة المبكرة. وفي محاولة لتقاسم وتبادل الدروس المستفادة وأدوات العمل والمنهجيات، صممت هذه الأدوات الإلكترونية لتوفير إطار شامل وأمثلة للاستراتيجيات والأدوات التي تبين أنها مفيدة في معالجة بعض القضايا المتكررة عند التعامل مع الأطفال في هذه المرحلة من العمر.

نأمل أن تكون هذه الأدوات الإلكترونية قيمة ومفيدة لجميع المهنيين الذين يرغبون في استكشاف كيفية تحويل مبادئ التطور في مرحلة الطفولة المبكرة إلى مشاريع وأنشطة قد تعزز من فعالية البرامج الموجهة إلى الأطفال في حالات الطوارئ المعقدة.

الدكتور عائد ياغي
جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية

بيرا ريديلي
منظمة أرض الإنسان-إيطاليا

شكر وتقدير

لم يكن لهذه الأدوات الإلكترونية أن ترى النور دون تصميم وإصرار فرانثيسكا بالارين، المستشارة في مجال المساعدة النفسية الاجتماعية للتطور في مرحلة الطفولة المبكرة لدى منظمة أرض الإنسان-إيطاليا، ودافيد أموري، مدير مشاريع المنظمة في غزة. فقد استوعب كل منهما أهمية توثيق تجربة عامين من العمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة في المحافظتين الجنوبيتين في قطاع غزة للجهات العاملة مع الأطفال في غزة - وهي المنظمات والمؤسسات الفلسطينية والدولية.

كما نتمن منظمة أرض الإنسان-إيطاليا كثيراً مثابرة وتفاني جميع أعضاء الفريق العامل في مشروع منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية. ويجدر التنويه بشكل خاص بعمل ريما الحاج عبد، منسقة المشروع، لقيادتها الميدانية اليومية الدؤوبة لتنفيذ أنشطته.

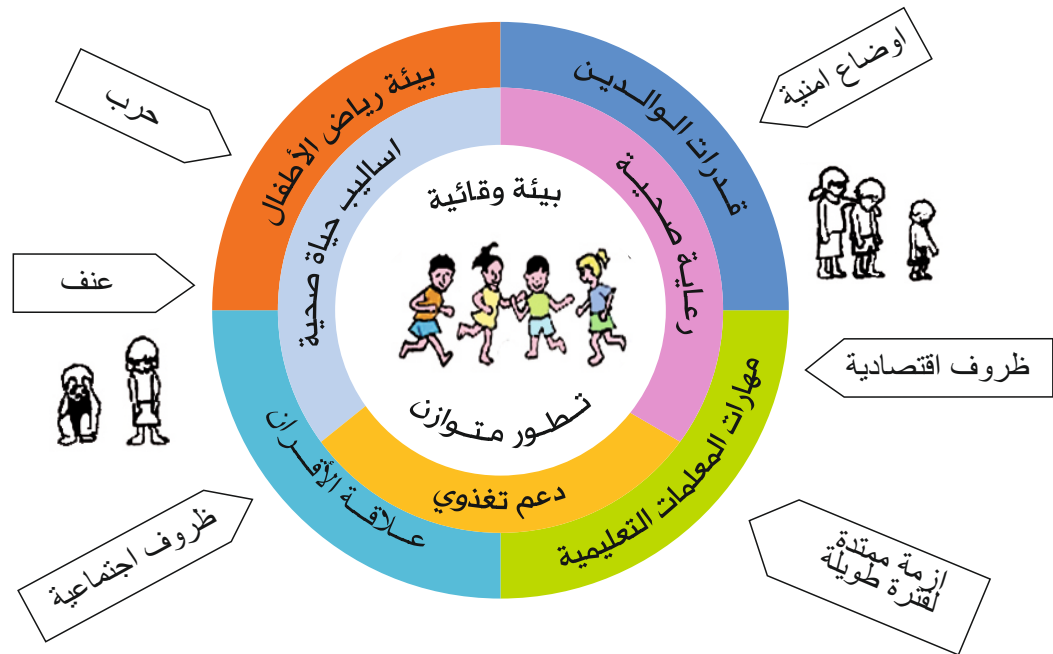
وفي الختام، تشعر منظمة أرض الإنسان-إيطاليا بالامتنان العميق لشريكها الفلسطيني، جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في غزة، التي جعلت من المشروع أمراً ممكناً، وخصوصاً مديرها، الدكتور عائد ياغي، على استمرار دعمه ومساعدته. نتقدم بالشكر أيضاً لجميع من زودوا الصور لمجموعة الأدوات الإلكترونية هذه، وبشكل خاص للمصور أليسيو رومينزي، الذي وثق أنشطة المشروع.

بييرا ريديلي

مسؤولة مكتب برامج الشرق الأوسط
بمنظمة أرض الإنسان - إيطاليا

مقدمة

في حزيران / يونيو ٢٠١٠، كنت وفرانشيسكا بالارين معاً نعدّ العرض النهائي لنتائج مشروع "الدعم النفسي- الاجتماعي والتغذوي للأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة وأشقائهم في قطاع غزة". لقد كان الهدف دعم نمو ونماء الأطفال بشكل سليم من خلال تمكين القائمين على رعايتهم من تلبية احتياجات الأطفال الجسدية والعاطفية والمعرفية واللغوية والاجتماعية، وتشجيع أنماط الحياة الصحية في أسرهم ومعالجة مرض فقر الدم وسوء التغذية - بالارتكاز على رؤية شاملة للتطور في مرحلة الطفولة المبكرة. أردنا أن نوفر للجمهور عرضاً مصوراً ومباشراً لنهج واستراتيجية المشروع بأكمله، وتوصلنا إلى ما يلي:



النقطة الرئيسية في تحقيق البيئة الواقية المناسبة للتطور المتوازن للطفل هي العمل مع الوالدين والمعلمين ومديرات رياضات الأطفال في تحسين معرفتهم لمبادئ النماء في مرحلة الطفولة المبكرة وتوجهاتهم وممارساتهم، في سياق قطاع غزة الذي يمر بأزمة إنسانية طويلة ومعقدة. وقد سمّت الاستراتيجية نفسها كلاً من مرحلتين العمل: فقد اتبعت كل من منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية هذه الاستراتيجية من خلال برنامج للتدريب والمتابعة، مستخدمتين مواد وأدوات توعية لرصد التأثير الفعّال والتقدم المحرز في المجتمع

١ المشروع هو دعم نفسي - اجتماعي وتغذوي للأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة وأشقائهم في قطاع غزة (-/ME / EHO / BUD/2009/01045) بتمويل من المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية. المشروع هو الأول من مرحلتين انتهى في حزيران / يونيو ٢٠١٠، والثاني هو الدعم النفسي - الاجتماعي والتغذوي للأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة وأشقائهم في قطاع غزة (-/ECHO / ME/BUD/2010/01041) الذي انتهى في حزيران / يونيو ٢٠١١.
٢ أنظر الهامش ١

المحلي المستهدف ولدى الأطفال في هذا المجتمع الذين تصل أعمارهم إلى ست سنوات. وبحلول منتصف المرحلة الثانية، أدركنا أن المواد التي جمعها فريقنا حتى ذلك الحين كانت تستحق أكثر من مجرد مشروع تدريب بسيط وأداة رصد وتقييم، وأنها بدلاً من ذلك يمكن أن توفر قاعدة قوية لبناء وتطوير وتقاسم مجموعة أدوات تتعلق بالتطور في مرحلة الطفولة المبكرة، يحتمل أن يكون تطبيقها مناسباً في جميع أنحاء قطاع غزة، بل، أبعد من ذلك، يحتمل أن يكون من المناسب نسخها وتكييفها في سياق الأزمات / ما بعد الأزمات خلال العمل مع مجتمعات محلية مماثلة في أماكن أخرى. ولذا قررنا تنظيم ومراجعة العمل، وذلك للاستفادة من فرص التشبيك والمشاركة المستخدمة في بناء نظام الرصد والتقييم لبرامج الصحة العقلية والنفسية-الاجتماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، الذي تنسقه المجموعة المعنية بنظام تنسيق العمل الإنساني والوزارات التنفيذية (يجري القيام به حالياً). وإضافة إلى ذلك، كنا مدفوعين من واقع أن العمل الذي بدأه عام ٢٠٠٩ يعالج إحدى الفجوات الرئيسية التي تم تحديدها في هذه البرامج (أي الافتقار إلى أدوات رصد وتقييم مناسبة للأطفال حتى ست سنوات من العمر). فالمواد الموجودة في هذه الأدوات الإلكترونية تستند جميعها إلى هذه الخبرات، وتتضمن المعايير الدولية للنماء في مرحلة الطفولة المبكرة والتعاون بين المنظمتين (منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية) وأصحاب المصلحة الآخرين وعمل فريق المشروع – المكون من مجموعة من المربين وعلماء النفس والمستشارين والأخصائيين الاجتماعيين المحليين – الذي بنى واختبر ونقح هذه المواد التي نسقها خبراؤنا في مجال العمل النفسي-الاجتماعي. وقد اخترنا أن نقدم موادنا كمادة إلكترونية بدلاً من أن تكون مجموعة من الأدلة – لأنها تمثل عملاً مستمراً وثيقة حية يمكن تكييف إطارها لسياقات أخرى غير سياق قطاع غزة.

٣

دافيدى أموري
منظمة أرض الإنسان - إيطاليا
مدير المشروع

العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة

يمثل الأطفال إمكان ومستقبل المجتمعات والأمم. فمن المرجح أن يكبر الأطفال الذين يعتنى بهم في السنوات المبكرة أصحاء وأن يطوروا تفكيرهم ولغتهم بشكل كامل، وأن يصبحوا قادرين على التحكم في انفعالاتهم وعلى التغلب على التوتر وامتلاك المهارات الاجتماعية. كما أنهم يحتمل أكثر أن ينجحوا في دراستهم عندما يلتحقون بالمدارس وأن تقل احتمالات انقطاعهم عن الدراسة. كذلك فإنهم يبذلون في مرحلة المراهقة احتراماً أكبر للذات وتتاح لهم لاحقاً فرصاً أكبر ليصبحوا أعضاء خلاقين ومنتجين في المجتمع.

ويمكن لهذه المكاسب الإنسانية أن تساعد في فترة جيل واحد على كسر حلقات الفقر والمرض والعنف التي تعاني منها بلدان كثيرة. غير أن ضمان أن يحصل الأطفال الصغار جميعهم على التنشئة والرعاية اللازمة للنماء الأمثل يشكل تحدياً كبيراً. لقد وضعت هذه الأدوات الإلكترونية نتيجة عامين من العمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة في قطاع غزة. وهي تهدف إلى الاستفادة من التجارب والدروس المستفادة من عمل منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في تنفيذ أنشطة للأطفال الصغار والآباء والأمهات والقائمين على رعاية الأطفال (المدرسات والمدارس في رياض الأطفال) وتعميم هذه التجارب والدروس.

وهذه الأدوات موجهة إلى المهنيين الذين يرغبون في استكشاف كيفية تحويل مبادئ التطور في مرحلة الطفولة المبكرة، خصوصاً تلك التي تركز على الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة - إلى مشاريع وأنشطة، وتوفر هذه النشرة سلسلة من أدوات العمل التي يمكن استخدامها لمعالجة بعض القضايا التي تتكرر عند التعامل مع الأطفال في هذه المرحلة العمرية. وعلى الرغم من أن الأدوات المعروضة محددة بالسياق والثقافة السائدتين، إلا أننا نعتقد أنه يمكن بسهولة تعديلها لتستخدم في ظل ظروف مختلفة أو تنقيحها لتتلاءم مع ثقافات مختلفة.

تتألف مجموعة الأدوات الإلكترونية هذه من أربعة كتيبات:

الكتيب ٠ - مقدمة في العمل مع مرحلة الطفولة المبكرة: يفسر هذا الكتيب تكوين الأدوات الإلكترونية ويوضح الإطار المرجعي (النهج والمبادئ الأساسية والمفاهيم الأساسية) لتطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة الذي تستخدمه منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في تخطيط وتنفيذ ورصد وتقييم برامجها.

الكتيب ١ - رصد تطور الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة: يصف هذا الكتيب مكاسب النماء لدى الأطفال في الفئة العمرية ٣-٥ سنوات، ويوضح المؤشرات (المعالم الرئيسية على طريق التطور) لرصد تطور الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة، ويعرض ملف متابعة الطفل، وهو أداة طوّرت من خلال تجربة العمل في غزة في برنامج رصد تقدم الأطفال في رياض الأطفال.

الكتيب ٢ - تمكين القائمين على رعاية الأطفال: المهنيين المسؤولين مباشرة عن مجموعات الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة (وهم المعلمات في رياض الأطفال ومربو الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة والمنشطين): يقدم هذا الكتيب لمحة عامة عن كيفية تعلم الأطفال وما يستطيع المهنيون المسؤولون مباشرة عن مجموعات الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة (المعلمات في رياض الأطفال ومربو الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة والمنشطين) القيام به لدعم تعلم الأطفال وتطورهم الآمن.

ويشمل الكتيب دليلاً تدريبياً لمعلمي رياض الأطفال يعني بتطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. وصمم التدريب الذي طُوّر من خلال تجربة العمل في غزة في سبع وحدات أساسية (تطور الأطفال؛ والتعامل مع الأطفال؛ وحماية الأطفال ومسؤولية العمل مع الأطفال الصغار؛ ودور الأسرة؛ والأطفال في ظروف صعبة؛ وملخص) ومدته ٥٧ ساعة. ومن المكونات الرئيسية للتدريب ملف متابعة الطفل، وهو أداة لرصد ودعم تطور الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة.

الكتيب ٣ - تمكين القائمين على رعاية الأطفال: رفع مستوى الوعي لدى الأمهات والآباء: يوضح هذا الكتيب مجموعة متنوعة من الممارسات الوالدية المناسبة ويصف سلسلة من أنشطة التوعية التي تتعلق بتطور الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة موجهة للآباء والأمهات. ويمكن أن ينفذ هذه الأنشطة أي مهني (العاملون في المجال الاجتماعي والممرضات والمعلمون وأطباء أطفال وما إلى ذلك) على اتصال مع أهل الأطفال في هذه المرحلة.

نأمل أن تساهم هذه الأدوات الإلكترونية في التفكير المستجد بصدد مرحلة الطفولة المبكرة وحفز النقاش العملائي بشأن تنفيذ إجراءات لدعم تطور الأطفال في هذه المرحلة

٢. العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة: الإطار المرجعي

يستكشف هذا الفصل النهج والمبادئ الرئيسية والمفاهيم الأساسية التي تستخدمها كل من منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في العمل مع الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. ولا يقصد من القسم التالي أن يكون مراجعة منهجية، ولكن يمكن أن يستخدم كخلاصة وافية للمفاهيم الرئيسية التي تحدد الإطار الذي يجري العمل من خلاله.

١.٢ نهج تطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة

تشير مرحلة الطفولة المبكرة إلى فترة حياة الأطفال منذ الحمل بهم وحتى عمر ٨ سنوات. وهذه السنوات حاسمة في التعبير عن إمكانية التطور الكامل لكل إنسان وترسي الأسس لحياة الكبار.

على الرغم من أن هناك دراسات عديدة في ميادين تتعلق -من بين أمور أخرى- بتحفيز الأطفال وصحة الأم وبالتطور النفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي و الاجتماعي والتعليم، فإن تطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة حقل جديد نسبياً، ولا سيما في حالات الطوارئ والأزمات طويلة الأمد.

ويمكن تلخيص المبادئ التوجيهية التي يستخدمها كل من منظمة أرض الإنسان-إيطاليا والإغاثة الطبية لنهج برامج تطور الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة على النحو التالي:

١. تطور الطفل شمولي

في كثير من الأحيان تستخدم أثناء نضوج الطفل مفاهيم النمو والتطور بشكل متبادل. غير أن، النمو يشير إلى تغيرات جسدية محددة وإلى تزايد في حجم أعضاء وأجهزة الجسم المختلفة (على سبيل المثال نمو أعداد إضافية من الخلايا، وكذلك توسع الخلايا الموجودة المسؤولة عن التغيرات في الطول والوزن وشكل الجسم)،

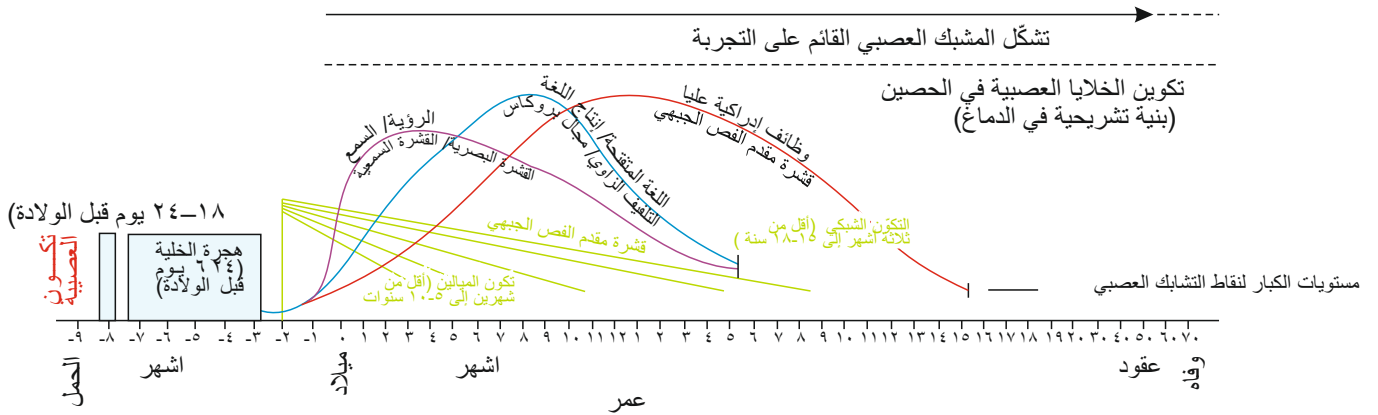
ويشير التطور إلى نضوج عملية اكتساب المهارات الوظيفية والسلوك والقيم لدى الطفل الذي ينمو. فالتطور هو عملية تغيير تتعلق بإتقان الطفل لمستويات أعلى وأكثر تعقيداً من الحركة والتفكير والشعور والتفاعل مع الناس والأشياء في البيئة. ولضمان النمو الأمثل، ينبغي توفير التغذية والرعاية الصحية الكافيتين، أما لضمان التطور الأمثل فينبغي توفير بيئة محفزة.

تكشف أحدث الدراسات عن نمو الدماغ أن بنيته تتشكل عند الولادة، إلا أن الوصلات العصبية التي تجعله يعمل تُبنى في السنوات الأولى من خلال التجربة. وتعرف هذه العملية بأنها التشكل القائم على التجربة للمشبك العصبي.

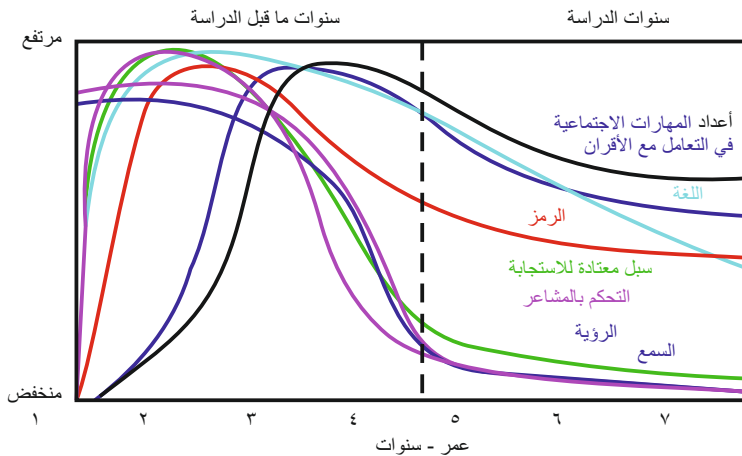
تبين الصورة أدناه كيف أن أحداث التخلق التي تميز النضج الوظيفي للدماغ (مثلاً، تكوّن النسيج العصبي، ونمو المحور العصبي والتغصني، والتكون الشبكي، وموت الخلايا، والتقليم الشبكي، وتكوّن الميالين وتكون الخلايا الدبقية) تحدث في أوقات مختلفة ويُبنى كل منها على الآخر.

ولذا فإن نوعية البيئة تعدّل إلى حد كبير قدرة الدماغ الوظيفية. وتبين البحوث التي أجريت على الحيوانات أن كلاً من الإجهاد

نماء دماغ الإنسان

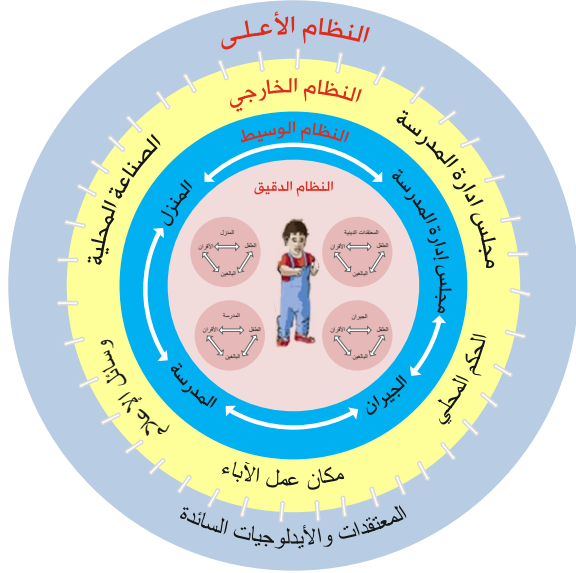


فترات حساسة في تطور الدماغ المبكر



والتحفيز السيء والتفاعل الاجتماعي المتدني يمكن أن يؤثر على بنية ووظائف الدماغ وأن لكل منها آثار معرفية وعاطفية دائمة. ٥

وبالإضافة إلى ذلك، هناك "فترات حساسة" تتعاطم فيها آثار التحفيز البيئي على بنية الدماغ ووظيفته. ونوافذ الفرصة هذه التي تتيح التطور الوظيفي للدماغ فريدة من نوعها. وتبين دراسات عن الحرمان المبكر أن غياب التحفيز المناسب في الفترات الحساسة يؤدي إلى تأخر التطور أو إلى اعتلاله اعتلالاً دائماً. ولوصف مثل هذه العلاقة الجوهرية المتبادلة بين النمو التطور، تستخدم الجماعة المعنية بدراسة مرحلة الطفولة المبكرة مصطلح "شمولي"، للتدليل على أن تطور الطفل لا يمكن تجزئته إلى متغيرات في الصحة والتغذية والتعليم ومتغيرات أخرى اجتماعية وعاطفية وروحية، فهذه جميعها تتشابك في حياة الطفل، ويؤثر التقدم أو التأخر في واحد من هذه المجالات على التقدم في مجالات أخرى.



كمثال على ذلك، في حين يكون الأطفال مدفوعين طبيعياً نحو استكشاف بيئتهم ومحاوله امتلاكها، فإن طاقة ودوافع من يعاني منهم من حالات صحية وتغذوية سيئة تكون متدنية. ويحول ذلك دون تطوير مهاراتهم الإدراكية، ما يؤدي بدوره إلى مشاكل في التعلم تؤثر على احترام الطفل لذاته، وهذا بدوره يؤثر على التعلم في وقت لاحق.

٢. تطور الطفل بيئي

تطور الطفل نتيجة للتأثير المتبادل ما بين الطبيعة والتنشئة. والتنشئة عامل حاسم يتيح للأطفال تحقيق إمكانياتهم الكاملة بالرغم من ميراثهم الجيني. ولذا فإن التطور الناجح للأطفال جزء لا يتجزأ من نظم العلاقات الموجودة في البيئة المحيطة بهم.

ويفسر النموذج البيئي (الإيكولوجي) الذي وضعه برونفنبرينر Bronfenbrenner كيف أن كل شيء موجود لدى الأطفال وفي البيئة المحيطة يؤثر على كيفية نموهم وتطورهم.

وكما يتبين من الصورة، صنف برونفنبرينر الجوانب أو المستويات المختلفة للبيئة التي تؤثر على تطور الأطفال على أنها النظم الصغيرة والمتوسطة والخارجية والكلية (المايكروسيستيم والميزوسيستيم والإكوسيستيم والماكروسيستيم).

- 5 Grantham-McGregor, S., Yin Bun Cheung, et al. "Developmental Potential in the First Five Years for Children in Developing Countries", Lancet, 2007
٦ يعتقد بياجيه (١٩٧٠) في هذا الصدد أن هناك أوقاتا خلال دورة الحياة يتم فيها تعلم أنواع معينة من الأشياء بشكل أفضل أو بكفاءة أكثر، وأن هناك طرق تدريس في أوقات معينة مناسبة أكثر مما في أوقات أخرى في التسلسل النمائي.
- 7 Grantham-McGregor, S., Yin Bun Cheung, et al. "Developmental Potential in the First Five Years for Children in Developing Countries", Lancet, 2007
8 Bronfenbrenner, U. The Ecology of Human Development: Experiments by Nature and Design, 1979

البيئة الصغيرة (المايكرو سيستم) المباشرة التي تحيط بالطفل. وتتضمن أية علاقات أو منظمات مباشرة يتفاعل معها، مثل الوالدين والأشقاء والعائلة الممتدة والقائمين على رعاية الأطفال الآخرين والجيران ومن يقدمون الرعاية النهارية ورياض الأطفال والمدارس. وتؤثر الطريقة التي يتصرف بها هؤلاء الأفراد أو المنظمات مع الطفل في بادئ الأمر، والطريقة التي يتصرف بها الطفل معهم -بسماته الشخصية المتأثرة بجيناته الوراثية الخاصة به وبوضعه البيولوجي، وفي النهاية الطريقة التي يكون فيها البالغون قادرين على تشكيل ردود فعلهم لتناسب مع احتياجات الأطفال، تؤثر هذه جميعها تأثيراً عميقاً على الطريقة التي ينمو الطفل بها ويتطور. فكلما كان الفاعلون الرئيسيون في البيئة الصغيرة (المايكرو سيستم) أكثر تشجيعاً ورعاية للطفل، كلما كان الطفل أكثر قدرة على النمو والنماء. وتصف البيئة المتوسطة (الميزو سيستم) كيف يعمل الفاعلون المختلفون في البيئة الصغيرة (المايكرو سيستم) معاً لتحقيق رفاه الأطفال. فعلى سبيل المثال، إذا لعبت الأمهات دوراً نشطاً في رياض الأطفال، مثل حضور اجتماعات الآباء والأمهات والمعلمين المعلمات، فسيكون للتفاعل بينهن أثراً إيجابياً على حياة الطفل. وعلى العكس، إذا اختلف الوالدان والعائلة الممتدة (على سبيل المثال، الأجداد) على طريقة تنشئة الأطفال وأعطوهم دروساً متضاربة، فإن ذلك سيعيق تطور الطفل.

أما البيئة الخارجية (الإيكوسيسستم) فتشمل الأشخاص والجماعات والمنظمات والمؤسسات التي لا يتفاعل معها الأطفال في أحيان كثيرة، لكن لديها رغم ذلك تأثير كبير عليهم، مثل أماكن عمل الوالدين، والجمعيات في الحي، والحكومات المحلية، ووسائل الإعلام وغيرها. فعلى سبيل المثال، إذا فقد أحد الوالدين وظيفته وأصبح الوالدان غير قادرين على دفع إيجار البيت أو شراء مواد البقالة، فإن ذلك قد يؤثر على الأطفال سلباً. ومن ناحية أخرى، إذا حصل أحد الوالدين على ترقية، فقد يؤثر ذلك على الأطفال إيجابياً، إذ سيصبح الوالدان أكثر قدرة على تلبية احتياجات الأطفال المادية.

وأما المستوى النهائي في نموذج برونفنبرينيرز فهو البيئة الكلية (الماكرو سيستم) التي تتشكل من مجموعة البنَى والأشخاص الأكبر سناً والأبعد من حيث القرابة الذين لديهم مع ذلك تأثير كبير على الطفل. وتشمل هذه البيئة القيم الثقافية والقوانين والعادات والحريات النسبية التي تسمح بها الحكومات، والاستقرار / عدم الاستقرار السياسي، والاقتصاد والحروب، إلخ. وهذه الجوانب تؤثر أيضاً على الأطفال إما سلباً أو إيجاباً.

ويمكن تلخيص جوهر النموذج البيئي في مرحلة الطفولة المبكرة على النحو التالي:

- يتحدد تطور الطفولة المبكرة في المقام الأول من خلال التفاعلات بين الأطفال وأسرهم والقائمين على رعايتهم مباشرة.
- يغير سلوك الأطفال تطورهم محيط الرعاية. وينبغي أن يكون لدى القائمين على رعاية الأطفال من الكبار القدرات الوالدية اللازمة للاستجابة بشكل مناسب لسمات الأطفال الفردية واحتياجاتهم.
- يتغير التفاعل بين الأطفال وأسرهم باستمرار استجابة لعوامل داخلية وخارجية.
- للبنى المجتمعية تأثيرات قوية على الأطفال، أساساً عن طريق تغيير التفاعل بين الوالدين والأطفال.

٣. يعزز نمو الأطفال الناجح قدرتهم على الصمود المرن.

البشر قادرون بشكل طبيعي على التكيف في مواجهة الشدائد والتصدي لها. ويطلق على هذه الخاصية الفريدة من خصائص الإنسان الصمود المرن.

وعلى الرغم من أنه ليس هناك اتفاق مشترك حتى الآن على تعريف مصطلح الصمود المرن، فإنه يوصف في كثير من الأحيان على أنه "بناء إيجابي يركز على نقاط قوة الأشخاص وإمكاناتهم"، وفيما يتعلق بالأطفال، يوصف على أنه 'وجهات التصحيح الذاتي التي تنقل الأطفال نحو تطور طبيعي إلى مرحلة الرشد في جميع الظروف عدا أشدها قسوة'.

ويرتبط الصمود المرن على الصعيد الفردي في الغالب بـ:

- عوامل بيولوجية (المزاج والعواطف والذكاء والإبداع ومقاومة المرض والخصائص الجينية والجسدية)
- الارتباطية (القدرة على الارتباط وتشكيل علاقات قوية مع الآخرين، والقدرة على التعاطف والرحمة والرعاية والبهجة)
- السيطرة (القدرة على التعامل مع بيئة الفرد والتمكن والكفاءة الاجتماعية واحترام الذات والاستقلال الذاتي والعزيمة)

كل من الارتباطية والسيطرة كفاءة رئيسية تتطور في المراحل المبكرة من الحياة من خلال العلاقة مع القائمين على الرعاية. ولذا فإن قدرة الأطفال الصغار على الصمود المرن تعتمد إلى حد كبير على قدرة القائمين على رعايتهم على فهم احتياجاتهم العاطفية وردود فعلهم على المواقف الصعبة ودعمهم للتغلب على تحديات الحياة. ويصبح الأطفال الذين يتمتعون بارتباطية آمنة وسيطرة إيجابية على البيئة في السنوات الأولى قادرين بشكل متزايد على التعامل مع حالات صعبة في حياتهم المستقبلية.

٢.٢ المفاهيم الأساسية في العمل مع مرحلة الطفولة المبكرة

١.٢.٢ مجالات التطور

يستند مفهوم الطفل الشامل على مبدأ مسلم به هو أن جميع مجالات النمو والتطور البشري مترابطة. ولم تصنف المجالات إلا بغرض دراسة كل منها بقدر أكبر من التعمق. فالواقع أن أيًا من جوانب التطور لا يتطور بشكل مستقل وأن كل مهارة، سواء كانت بسيطة أو معقدة، تعكس مزيجاً من مهارات أخرى.

وقد تم تحديد خمسة مجالات رئيسية للتطور هي الحركة البدنية والإدراك المعرفي والمجالات اللغوية والعاطفية والاجتماعية. وتساعد هذه على تركيز الاهتمام على عناصر معينة من تطور الطفل العادي وتستخدم لوصف التقدم المحرز على امتداد سلسلة التطور. وقد تختلف إنجازات الأطفال الفردية في المجالات المختلفة؛ فقد يمشي الطفل مبكراً ويتكلم في وقت متأخر، إذ يعتمد التطور في كل مجال من هذه المجالات على التحفيز والفرص المناسبة للتعلم.

١. النمو الجسدي ونماء الحركة

النمو الجسدي عملية رئيسية وفردية للغاية تتميز بها مرحلتا الطفولة المبكرة والطفولة اللاحقة. وهذه العملية مسؤولة عن التغيرات في شكل وتناسب وحجم الجسم كله. ويرتبط النمو بشكل معقد بالتقدم المحرز في مجالات التطور الأخرى. فتمو الأطفال الجسدي مؤشر على صحتهم العامة ورفاههم. ويتأثر تحقيق الطفل لإمكاناته في كافة مجالات التطور الأخرى بصحته الجسدية.

في موازاة ذلك، فإن تطور الحركة يتعلق بقدرة الأطفال على تحريك أجزاء أجسامهم المختلفة والسيطرة عليها. ويعتمد التحسن في تطور الحركة على نضوج الدماغ، ومدخلات المنظومة الحسية، والزيادة في الوزن وفي عدد الألياف العصبية، ووجود نظام عصبي سليم، وفرص ممارسة هذه المهارات الناشئة. وتكون قدرة الحركة في مرحلة الطفولة المبكرة جداً إنعكاسية، لكن هذه الانعكاسية تختفي كلما طوّر الطفل السيطرة الطوعية.

وتتولى توجيه تطور الحركة ثلاثة مبادئ:

أ. الرأسي الذنبي (سيفالوكودال): تصلب العظام وتطور العضلات بدءاً من الرأس إلى أخمص القدم. يتعلم الطفل أولاً التحكم بالعضلات التي تدعم الرأس والرقبة ثم الجذع ويلي ذلك العضلات التي تمكنه من الوصول إلى الأشياء، أما العضلات التي تساعد على المشي فتتطور آخرًا.

ب. المركزي الطرفي (بروكسيموديستال): تصلب العظام وتطور العضلات اللذان يبدأان مع تحسن السيطرة على العضلات الأقرب إلى الجزء المركزي من الجسم، وينتقلان تدريجياً إلى الخارج بعيداً عن نقطة الوسط إلى الأطراف. وتتم السيطرة على الرأس والعنق قبل أن يتمكن الطفل من التقاط الأشياء.

ج. التحسن (الصقل): النمو العضلي الذي يتقدم من العام إلى المحدد في كل من الحركة العامة والحركة الدقيقة. وتشير الحركة العامة إلى حركات العضلات الكبيرة من مثل المشي والتخطي والسباحة وكذلك الحركات غير التنقلية من مثل الجلوس والدفع والسحب. أما مهارات الحركة الدقيقة فهي تلك التي تشمل تكديس المكعبات وتزوير الأزرار وفتح السحاب واستخدام قلم رصاص أو قلم تلوين.

٢. تطور الإدراك المعرفي والإدراك الحسي: يندرج في تطور الإدراك المعرفي التوسع في قدرات الطفل الفكرية أو العقلية. وتطور الإدراك المعرفي عملية مستمرة من التفاعل بين الطفل والأشخاص الآخرين أو الأشياء أو الأحداث في البيئة. وهو ينطوي على التعرف على المعلومات ومعاملتها وتنظيمها، ثم استخدامها بشكل مناسب. كذلك تشمل عملية الإدراك المعرفي أنشطة عقلية من مثل اكتشاف المعلومات وتفسيرها وفرزها وتصنيفها وتذكرها. ويشير الإدراك المعرفي لدى الأطفال الأكبر سناً في مرحلة ما قبل سن الدراسة إلى مهارات تقييم الأفكار وإصدار الأحكام وحل المشاكل وفهم القواعد والمفاهيم والتفكير الاستباقي ووضع تصور للإمكانات أو التبعات.

أما تطور الإدراك الحسي فيشير إلى الاستخدام المتزايد التعقيد للمعلومات التي ترد عن طريق الحواس: البصر والسمع واللمس والشم والذوق ووضع الجسم. والإدراك الحسي معني بكيفية استخدام أية حاسة مفردة أو مجموعة من الحواس: تعلم اختيار جوانب محددة من البيئة ليتم التركيز عليها؛ وتقدير أي التفاصيل هو الهام؛ وأي اختلاف من الاختلافات تنبغي ملاحظته. وتكون أساسيات جهاز الإدراك الحسي موجودة عند الولادة. وتتطور من خلال الخبرة والتعلم والنضج إلى عملية منسقة بسلاسة لمعاملة معلومات معقدة والقيام بأوجه تمييز دقيقة. ومن الصعب فصل الإدراك الحسي عن الإدراك المعرفي. وهكذا، في أحيان كثيرة، يؤخذ الاثنان معاً ويشار إليهما بتطور الإدراك المعرفي-الحسي.

٣. التطور اللغوي

يمكن تعريف اللغة على أنها نظام من الرموز المنطوقة والمكتوبة والسلوكية. وهو نظام يتيح للبشر التواصل بعضهم مع بعض. و النماء الطبيعي للغة متسلسل، يعتمد على النضج وكذلك على فرص التعلم. فالسنة الأولى من الحياة هي مرحلة ما قبل اللغة التي يعتمد فيها الطفل على حركات الجسم والأصوات من مثل البكاء والضحك ليعبر عن احتياجاته ومشاعره. وتليها المرحلة اللغوية التي يصبح فيها الكلام أداة التواصل الرئيسية، وفيها يستحوذ الطفل على الكلمات والقواعد النحوية عندما يكتسب مهارات التعبير عن سريره وأفكاره من خلال اللغة. ويفهم معظم الأطفال العديد من المفاهيم والعلاقات قبل فترة طويلة من تعلمهم الكلمات لوصفها. وهذا ما يعرف باللغة الاستقبالية، وهي مهارة تسبق اللغة التعبيرية أو القدرة على استخدام الكلمات للوصف والشرح. ويتأثر نماء الكلام واللغة بتطور إدراك الطفل المعرفي والحسي والاجتماعي والعضلي-العصبي العام، كما يعتمد نماء اللغة أيضاً على نوعية وكمية اللغة المسموعة.

٤. التطور العاطفي

التطور العاطفي جزء حاسم من التطور المبكر للأطفال. وتتطور العواطف إذ يستجيب الأطفال لخبرات الحياة بمجموعة كاملة من المشاعر. وتتطور حالة من المشاعر غير المتميزة في مرحلة الرضاعة إلى مجموعة مشاعر مصقولة أكثر في مرحلة الطفولة المبكرة. ومن بين المهارات العاطفية التي يتعلمها الطفل في السنوات الأولى: القدرة على تقبل المشاعر والتعبير عنها وكذلك تفهم مشاعر الآخرين؛ والقدرة على التعامل مع التغيير؛ والقدرة على إصدار أحكام؛ والقدرة على إدراك إحساس المرء بالسيطرة والنفوذ والتمتع به. كما تشمل المهارات العاطفية أيضاً مجموعة المهارات المرتبطة بتعلم مهام الرعاية الذاتية والاستقلالية.

٥. التطور الاجتماعي

يعي الأطفال في وقت مبكر من حياتهم أيضاً طبيعتهم الاجتماعية. وتبدأ عملية التطبع الاجتماعي بتوجيه من الوالدين وأفراد الأسرة. وعندما يدخل الأطفال في تفاعل مع مجموعات من الناس، فإنهم يتعرضون إلى سلوكيات وأدوار اجتماعية ومواقف تعزز النماء الاجتماعي المنسجم مع الثقافة السائدة. ويتعلم الأطفال مهارات اجتماعية كثيرة في السنوات الأولى من حياتهم. فهم يتعلمون التمتع والثقة بأشخاص كبار غير والديهم. وفي علاقاتهم مع الآخرين، يتعلم الأطفال سبل التعاون والاختلاف والتقاسم والتواصل وتأكيد أنفسهم. كما يتعلم الأطفال أيضاً كيف يكونون أعضاء في مجموعة ما، والمشاركة في أنشطة جماعية، والتكيف مع توقعات المجموعة واحترام حقوق ومشاعر الآخرين. ويتعلم الأطفال الصغار أيضاً كيفية التعبير عن مشاعرهم بطرق تتلاءم مع الثقافة السائدة وأدوار الجنسين والأخلاق.

٢.٢.٢ معالم التطور ومفاهيم أساسية أخرى تتعلق بالتطور

لم يتمكن الباحثون من الاتفاق على نظرية واحدة تحيط بتعقيد عملية تطور الصغار، غير أن عدداً من المفاهيم الأساسية قد برز ليساعد على تنظيم ما هو معروف عن الأطفال والعائلات ولتحديد ما هو غير مفهوم بشكل واضح حتى الآن.

وفيما يلي بعض المفاهيم الأساسية المفيدة للغاية للآباء والأمهات والمهنيين في تنظيم فهم تطور الطفل:

- تشير معالم تطور الطفل إلى التغييرات أو الإنجازات الكبرى في التطور الجسدي والمعرفي واللغوي والاجتماعي والعاطفي. وتتطور هذه المناحي بخطوات متسلسلة تسلسلاً منظماً تظهر ضمن مدى عمري يمكن التنبؤ به إلى حد ما. فعلى سبيل المثال، يبدأ كل طفل تقريباً بالابتسام اجتماعياً بين عمر أربعة وعشرة أسابيع وتظهر الكلمات الأولى عادة عندما يبلغ حوالي اثني عشر شهراً.

- يشير تسلسل التطور إلى الخطوات التي يمكن التنبؤ بها على امتداد مسار التطور. وهذا النمط مشترك بين معظم الأطفال. ويشير التسلسل الطبيعي للخطوات في كل مجال من مجالات التطور إلى أن الطفل يمضي قدماً على طريق التطور. فعلى سبيل المثال، عند مراقبة نماء اللغة، من المهم أن يتقدم الطفل من المناغاة إلى أن يصبح قادراً على إصدار مقاطع. وهذا التسلسل، وليس العمر الذي تظهر فيه هذه المهارات، هو العامل الحاسم في تقييم مدى تقدم الطفل.

- تمثل التوقعات أو المعايير القائمة على العمر متوسط العمر أو العمر النموذجي الذي تكتسب فيه غالبية الأطفال في ثقافة معينة مهارات التطور. ويدعى متوسط العمر "العمر المعياري". ويمكن وصف تطور الطفل بأنه أعلى أو دون المعيار. غير أنه ينبغي التأكيد على أن المعايير القائمة على مستوى العمر تحدد نطاقاً للزمن الذي تتحقق فيه مهارات معينة، وليس عمراً محدداً بالضبط. وينبغي دائماً أن تفهم مستويات مهارة معينة قائمة على العمر على أنها نقاط وسط تقريبية تمتد على نطاق من الزمن (مثلاً، يحدث المشي بين ٨ إلى ٢٠ شهراً بنقطة وسط هي ١٤ شهراً).

- النكوص. نادراً ما يكون التقدم على امتداد سلسلة التطور على نحو سلس، بل يكون في كثير من الأحيان غير متساو وغير منتظم ويحدث على هيئة سلسلة توقف ثم بدء. وفي أحيان كثيرة يلي طفرات من التطور السريع فترات من التشوش أو النكوص. عندئذ، يبدو أن الأطفال يعيدون تنظيم ذاتهم، لتتبع ذلك فترات من الهدوء والتوطيد. وفي كثير من الأحيان، ينكص الأطفال خلال فترات الإجهاد أو التغيير، إلى أشكال سابقة من السلوك. وهذه سمة اعتيادية للتطور المبكر.

- المزاج. على مدى عقود من الزمن ساعدت فكرة الاختلافات المزاجية بين الأطفال الباحثين والأخصائيين والأسر على فهم بعض السلوكيات المتباينة بشكل واسع التي يبديها الأطفال حتى ضمن الأسرة نفسها. إن مفهوم المزاج الفردي - وهو مزيج من مستوى النشاط والحساسية الجسدية والقدرة على التكيف والوتيرة واستمرارية المزاج وعوامل مماثلة - هو إحدى الطرق لوضع تصور للاختلافات التي تؤثر على كيفية تصرف الأطفال الصغار وكيفية ردود فعل الوالدين إزاءها. وتؤثر الاختلافات المزاجية أيضاً على استجابات الأطفال الرضع من الناحية العاطفية ومن ناحية الإدراك المعرفي والحسي لأجسادهم وللعالم الأوسع.

يولد الأطفال مع مجموعة فريدة من الخصائص المزاجية التي تحدد نمط سلوكهم الخاص. ويمكننا أن نفكر في المزاج بالعلاقة مع سلوك الطفل أنه الـ "كيف" وليس الـ "لماذا". وينظر في بعض الأحيان إلى الخصائص المزاجية على أنها الأساس

الفطري الذي تبني عليه الشخصية. وليست الخصائص المزاجية، وهي مشتقة من مزيج من نظام عصبي بنيوي مركزي يتشكل داخل الرحم ومن عوامل بيئية في فترة ما بعد الولادة، ثابتة تماماً، لكنها يرجح أن تكون مستمرة ومتسقة على مر الزمن.

وقد حدد الباحثون تسعة جوانب للمزاج يمكن استخدامها للفترة التي تتجاوز فترة الولادة الحديثة:

- الإيقاعية، وهي درجة قابلية التنبؤ والإيقاع في توقيت الوظائف البيولوجية.
- مستوى النشاط، وهو الأداء الحركي للطفل.
- المقاربة / الانسحاب، وهو طبيعة استجابات الطفل الأولية لمحفزات جديدة.
- قابلية التكيف، وهي السهولة التي يمكن بها تعديل استجابة الطفل للمواقف.
- عتبة الاستجابة، وهي تشير إلى شدة التحفيز الضرورية لإثارة استجابة ملحوظة من الطفل.
- شدة رد الفعل، وهي مستوى طاقة استجابة الطفل للمؤثرات.
- نوعية المزاج، وهي تصف النبذة الإيجابية أو السلبية العامة لسلوك الطفل.
- التشثنية، وهي تشير إلى السهولة التي يمكن فيها تحويل انتباه الطفل عن نشاط يقوم به عن طريق محفزات خارجية محيطية.
- فترة الاهتمام والمثابرة، وهي طول الفترة الزمنية التي يتابع بها الطفل نشاطاً معيناً واستمرار اهتمامه بذلك النشاط في وجه العقبات.

باستخدام هذه الخصائص المزاجية التسعة، حدد عدد من الأطباء السريريين تشكيلات سلوك مشتركة تميز أطفالاً مختلفين بأنها: الأنماط المزاجية السهلة أو الصعبة أو البطيئة الاستجابة.

التأقلم. مثلهم مثل البالغين، يتأقلم الرضع والأطفال الصغار باستمرار. فالحياة اليومية تعني إدارة الفرص والمطالب والإحباطات. ويتأقلم الأطفال من خلال الاعتماد على مواردهم الداخلية - أفكارهم حول الكيفية التي يعمل بها العالم، وحالاتهم الجسدية والعاطفية، ومهاراتهم النمائية وطرقهم المميزة في التعامل مع الحالات التي تنذر بالخطر. وهم يعتمدون أيضاً على الموارد الخارجية، من مثل الآباء والأمهات وغيرهم من القائمين على رعايتهم. ويمكن للوالدين وغيرهم من القائمين على رعاية الأطفال أن يشجعوا التوافق الجيد بين مهارات الأطفال على التأقلم وما هو مطلوب منهم عن طريق

- تعديل متطلباتهم بما يتماشى مع قدرات الأطفال
- تعزيز موارد الأطفال التي تساعد على التأقلم
- توفير ملاحظات مناسبة للأطفال لتعزيز استراتيجيات التأقلم المرغوبة.

٣.٢.٢ مبادئ شاملة في مجال العمل مع مرحلة الطفولة المبكرة

١. معظم الأطفال طبيعيون

تستند هذه المعلومة على حقيقة أن معظم الأطفال طبيعيون من الناحية التطورية. ولكن حتى ضمن نطاق الطبيعي هناك مشاكل وشواغل ينبغي التصدي لها. ويتجلى بعض هذه التباينات على هيئة تباينات تطورية، يستند بعضها إلى الاختلافات

في أمزجة الأطفال والأسر، ويستند البعض الآخر إلى مصادر الضغوط التي يتعرض لها الأطفال والأسر، وهذه جميعها شائعة جداً.

مع ذلك، من الأهمية بمكان ألا يقتصر التصدي لتلك المشاكل والشواغل على النظر في حالات العجز أو النماذج السلبية فقط بحثاً عن عوارض مرضية عند تبين حدوث تأخر و / أو مشاكل في التطور، بل يتعين على التدخلات أن تنتظر في دعم وإدراك نقاط القوة لدى كل طفل. والأهم من ذلك، يتعين على المهنيين أن يدركوا جيداً اللدونة الهائلة والقدرة على التعلم والتغيير والتكيف التي يمكن أن يبديها الأطفال الصغار إذا ما تعرضوا لعلاقات بناءة وبيئة تنشئة إيجابية.

٢. كل طفل فريد

يوفر العلم التطوري إطاراً لفهم تسلسل وتراوح أعمار التوقعات. غير أن الأنماط الفردية التي يحقق الأطفال بها المكاسب فريدة فرادة الموروث الجيني والبيولوجي والعلاقات داخل الأسرة والتجارب التي تؤثر في تطور الطفل. وتتسبب مكاسب التطور بشكل خاص بسلسلة متوالية محددة من التغييرات في الطفل وكذلك في البيئة. فمع كل مهارة جديدة يتبدل إحساس الأطفال بذاتهم وبموقعهم في الأسرة ومع أقرانهم وفي الوضعيات الأخرى. وإذا تجلب المهارات الجديدة استجابات جديدة، تتطور العلاقات باستمرار. ولذا فإن إدراك الميزات الفردية لكل طفل وتقييم التطور الزمني أمران بالغ الأهمية.

٣. دعم الطفولة المبكرة يعني دعم بيئة تنشئة الطفل

كما ذكرنا، يعتمد نمو الطفل في الغالب على القدرات والدعم والفرص المتاحة التي تتوفر للأسرة وغيرها من القائمين على رعاية الأطفال والعناية بهم وتنشئتهم. ولذا ينبغي أن تكون البرامج من ناحية قائمة على مشاركة الأسرة والقائمين على رعاية الأطفال والمجتمع المحلي. ومن ناحية أخرى، ينبغي أن تهدف إلى تمكين القائمين على رعاية الأطفال على جميع المستويات (الوالدين وأفراد الأسرة ومهنيي الرعاية النهارية ومعلمي رياض الأطفال وأطباء الأطفال والمرضات وما إلى ذلك)، حتى يصبحوا أكثر قدرة على تهيئة البيئة الإيجابية الحافظة الحاسمة الأهمية لتحقيق تطور متوازن.

٣. خبرة في العمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة في قطاع غزة (الأراضي المحتلة في فلسطين)

ضمن الإطار المرجعي الموصوف لتطور الطفولة المبكرة ومع الأخذ بالاعتبار "المبادئ التوجيهية بشأن الصحة النفسية والدعم النفسي" (٢٠٠٧) التي وضعتها اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات، طور كل من منظمة أراض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية برنامجاً للأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة (٣-٥) في قطاع غزة (الأراضي المحتلة في فلسطين). وقد صمم البرنامج عام ٢٠٠٩ وجرى العمل به لما يقرب من عامين (٢٠٠٩-٢٠١١)، وذلك بدعم من مكتب المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية (ECHO).

في عام ٢٠٠٨/٢٠٠٩ أدى الحصار وإغلاق المعابر أمام حركة البضائع وحركة الناس إبان عملية "الرصاص المصبوب" التي شنها الجيش الإسرائيلي على غزة لمدة ثلاثة أسابيع إلى وضع متوتر للغاية، فقد كان لتدهور الظروف المعيشية الأساسية المستمر منذ عام ٢٠٠٦ بسبب عمليات العنف التي قام بها الجيش الإسرائيلي، من شن غارات والقيام بعمليات توغل وقتل، تأثير عميق على رفاه جميع السكان.

وأتت الأزمة طويلة الأمد إحباطاً وتوتراً متزايداً بين السكان، وكان لها تأثير على المستوى السياسي والاجتماعي وكذلك على

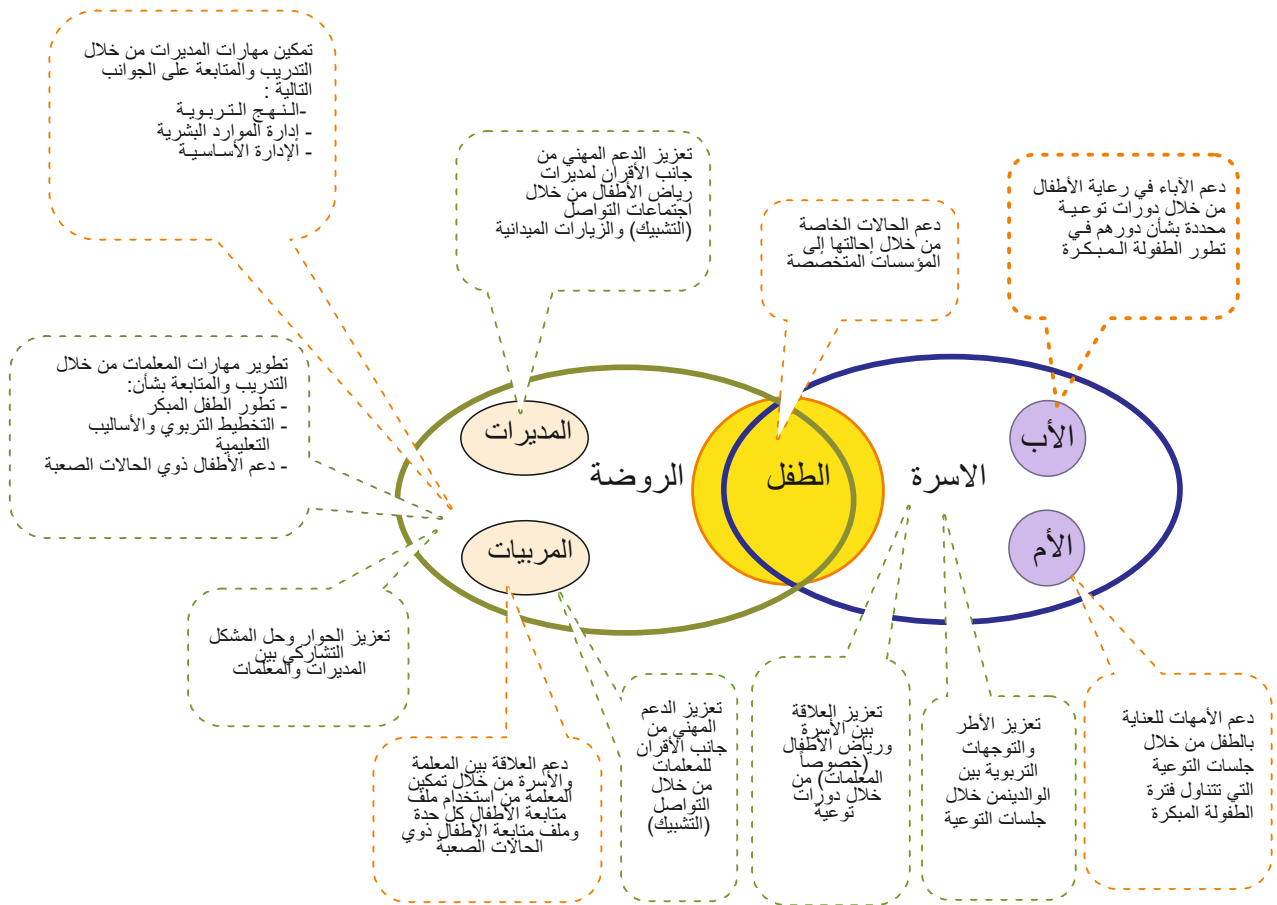
مستوى الأسرة، وبشكل رئيسي على الفئات الأكثر انكشافاً على المخاطر: إذ يتعرض الأطفال باستمرار لخطر الإهمال والعنف، كما يتنامى إحساس الآباء والأمهات بالإحباط بسبب عجزهم عن التعامل مع التدهور في حياتهم اليومية ويفقدون الثقة بالنفس والقدرة على التفاعل ورعاية أطفالهم.

وقد كشف مسح لتحديد خط أساس قام به فريق عمل في مجال الدعم النفسي-الاجتماعي لدى منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٩، وكذلك الدروس المستفادة من تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع (من أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠٩ إلى حزيران/يونيو ٢٠١٠)، عن الضعف الشديد لقدرات القائمين على الرعاية الأولية للأطفال (الأمهات والآباء ورياض الأطفال والمعلمين والمديرين) على توفير أوضاع آمنة للأطفال تمكنهم من التعرض لمجموعة متنوعة من الخبرات العاطفية والاجتماعية واللغوية والجسدية والإدراكية المعرفية والحسية اللازمة لضمان تطور كامل ومتوازن. كذلك أظهر القائمون على رعاية الأطفال خصوصاً سوء فهم لاحتياجات الأطفال من ناحية التطور: إذ يتعامل هؤلاء سواء في الأسرة أو في رياض الأطفال مع الأطفال الصغار كأشخاص راشدين، ولذا يتوقعون أن يبدي الأطفال قدرات تتجاوز سنهم.

وتؤثر التوقعات الخاطئة للقائمين على رعاية الأطفال سلباً على العلاقة مع الطفل: فالمستوى العادي لقدرة الطفل ومناحي الفشل الطبيعية لأداء الأطفال تولد إحساساً بالإحباط لدى الوالدين والمعلمين الذين يستمرون في دفع الأطفال إلى تجاوز إمكانياتهم. وفي كثير من الأحيان يكون رد فعل الأطفال للحوافز غير الملائمة من جانب القائمين على رعايتهم إظهار علامات من الانزعاج والسلوك الصعب. ويساهم ذلك في المزيد من الإحباط للكبار ويؤثر على العلاقة مع الطفل. وقد يدفع العقاب والتدابير التأديبية الترهيبية الأخرى التي تستخدم في أحيان كثيرة في محاولة تنظيم سلوك الطفل الصعب إلى دوامة من ردود فعل مثيرة للقلق. وتؤدي هذه الحلقة المفرغة من الإحباط إلى تحول خطير في مسار تطور الطفل.

استناداً إلى هذا التحليل وضعت منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية استراتيجية تنفيذية لدعم تطور الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة تعمل على مستويي البيئة الصغيرة والمتوسطة (ميكروسيستم وميزوسيستم). وقد هدفت أنشطة المشروع بالتحديد إلى تمكين القائمين على رعاية الأطفال كأفراد (الأمهات والآباء والمهنيين في روضات الأطفال)، ولكن أيضاً إلى تعزيز الترابط اللازم فيما بينهم، كما يتبين في الشكل على الصفحة التالية.

وقد عمل كل من منظمة أرض الإنسان-إيطاليا وجمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية في عامي ٢٠٠٩-٢٠١١، بدعم من مكتب المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية، على تلبية احتياجات التطور لحوالي ٥٠٠٠ طفل في مرحلة ما قبل سن الدراسة ملتحقين بـ ٢٢ روضة أطفال في محافظتي رفح وخانيونس في جنوب قطاع غزة. وقد أنتجت هذه التجربة سلسلة من أدوات العمل - يرد وصفها كاملاً في الكتيبات الأخرى من مجموعة الأدوات الإلكترونية هذه - يمكن تكييفها ونسخها لسياقات مماثلة أو تعديلها تبعاً لظروف مختلفة وثقافات مختلفة؟



- Interventions at microsystem level (ميكروسيسستم) التدخل على مستوى البيئة الصغيرة
- Interventions at mesosystem level (ميزوسيسستم) التدخل على مستوى البيئة المتوسطة

٤. مراجع ضرورية لمرحلة الطفولة المبكرة

- Beaty, J.J. Skills for Preschool Teachers, Pearson Education, 20104.
- Bredekamp, V.S. and Copple, C. "Developmentally Appropriate Practice in Early Childhood Programs", NAEYC, 1997
- Bronfenbrenner, U. "The Ecology of Human Development: Experiments by Nature and Design", Cambridge, MA: Harvard University Press, 1979
- Child and Youth Development Notes "The Role of Early Childhood Stimulation to Maximize Nutritional Inputs", World Bank, March 2009
- Dewey, J. and McLellan, J. "What Psychology Can Do for the Teacher", in John Dewey on Education: Selected Writings, Reginald D. Archambault, 1964
- Evans, J.L., Myers, M.G. and Ilfeld, E.M. "Early Childhood Counts - Programming Guide on Early Childhood Care for Development", World Bank, 2000
- Grantham-McGregor, S., Yin Bun Cheung, et al. "Developmental Potential in the First Five Years for Children in Developing Countries", Lancet, 2007
- Hohmann, M. and Weikart, D. P. Educating Young Children: Active Learning: Practices for Preschool and Child-Care Programs, High/Scope Press, 1995 (included in the CD-ROM on ECCD of The Consultative Group on ECCD, Washington D.C.: World Bank, 1999)
- InterAgency Standing Committee (IASC) "Guidelines on Mental Health and Psychosocial Support" (2007)
- Inter-Agency Network for Education in Emergency (INEE) "INEE Toolkit: Key thematic Issues - Early Child Development" <http://toolkit.ineesite.org/toolkit/Toolkit.php?PostID=1058>
- Keeping Children Safe Network "Keeping Children Safe Toolkit" <http://www.keepingchildrensafe.org.uk/toolkit>
- Landers, C. "A Basic Course in Early Child Development - Developmental Pediatrics", UNICEF Ed.D, MPH, 2002
- McCallin, M. "Child Development and Resilience", LIT VERLAG GmbH & Co. KG Wien, 2009
- Shore, R. Rethinking the Brain: New Insights into Early Development, Families and Work Institute, NY 1997
- Tabib, S "Early Childhood Development: An Emerging Issue", Bangladesh Medical Journal, 2010
- UNICEF "Early Childhood Development - The Key to a Full and Productive Life", 2008
- UNICEF "Early Child Development - Resource Pack" , http://www.unicef.org/earlychildhood/index_42890.html
- UNICEF "Early Childhood Development Kit: A Treasure Box of Activities" 2011
- World Bank "Examining Early Child Development in Low-Income Countries: A Toolkit for the Assessment of Children in the First Five Years of Life", World Bank, 2009
- UNICEF "Early Childhood Development Kit: A Treasure Box of Activities" 2011
- World Bank "Examining Early Child Development in Low-Income Countries: A Toolkit for the Assessment of

أدوات إلكترونية للعمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة معنية بمرحلة الطفولة المبكرة

العمل مع الأطفال في مرحلة ما قبل سن الدراسة



تساعد منظمة أرض الإنسان-إيطاليا ١٠٠,٠٠٠ طفل و٤٠٠,٠٠٠ شخص من خلال ٧٠ مشروعاً في ٢٢ بلداً. ونقوم بتنفيذ مشاريع إغاثة إنسانية وتنمية دولية في مجال حماية الطفل.

منذ عام ١٩٩٢، مولت المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية (ECHO) مشاريع إغاثة لملايين من ضحايا الكوارث الطبيعية والأزمات من صنع الإنسان خارج الاتحاد الأوروبي. وتوجه المعونة، دون تحيز، مباشرة للضحايا بصرف النظر عن العرق والدين والمعتقد السياسي. منذ عام ٢٠٠٠، قدمت المفوضية الأوروبية حوالي ٦٠٠ مليون يورو من المساعدات الإنسانية لتلبية الاحتياجات الأساسية للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

www.ec.europa.eu/echo

